الشهود يوم القيامة

دراسة موضوعية من القرآن الكريم

✍ إعداد الدكتور

عبدالإله بن صالح المديميغ

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد ، بكلية التربية

جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

aalmodaimeegh@ksu.edu.sa

الشهود يوم القيامة دراسة موضوعية من القرآن الكريم

عبدالإله بن صالح المديميغ
قسم الدراسات القرآنية – كلية التربية – جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: aalmodaimeegh@ksu.edu.sa

الملخص :

إن يوم القيامة يوم عظيم، تحدث عنه القرآن وعن أحداثه وأهواله وما سيقع فيه ترغيبا وترهيبا، بل إن من أعظم مقاصد إنزال القرآن هو إثبات المعاد. ومن أهوال ذلك اليوم العظيم شهادة الشهود على أعمال العباد يوم القيامة، وهؤلاء الشهود تنوعوا وكثروا، بينهم الله في كتابه في كثير من الآيات لنتعظ وننزجر عن عصيانه، ونسخر نعمه علينا للسعي في مرضاته. ونظرا لتنوع هؤلاء الشهود، أحببت جمعهم في بحث واحد لدراسة ذلك المشهد العظيم . أسأل الله أن يكونوا شهودا لي لا علي، ولكل من يقرأ هذا الكتاب. وقد قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة. المقدمة : وتشمل أهمية الموضوع ، وأساب اختياره ، والدراسات السابقة ، وهدف البحث وخطة البحث ، ومنهج الكتابة فيه ، والخاتمة ، والفهارس .

الكلمات المفتاحية : الشهود – القيامة – القرآن الكريم – إثبات المعاد– شهادة الشهود.

والله أسأل العون والسداد

Witnesses on the Day of Resurrection An objective study of the Holy Quran

Abdul Ilah bin Saleh Al-Mudaiemegh
Department of Quranic Studies - College of Education - King Saud University - Riyadh - Saudi Arabia
Email: aalmodaimeegh@ksu.edu.sa

Abstract:

The Day of Resurrection is a great day, about which the Qur'an spoke about, its events and horrors, and what will take place in it in order to intimidate and intimidate. Rather, one of the greatest purposes of landing the Qur'an is to prove the hostile. Among the horrors of that great day is the testimony of the witnesses to the actions of the servants on the Day of Resurrection, and these witnesses diversified and multiplied, among them God in his book in many verses, to awaken and descend from his disobedience, and use his blessings on us to seek his pleasure. Given the diversity of these witnesses, I loved bringing them together in one study to study that great scene. I ask God to be witnesses to me, not Ali, and to everyone who reads this book. This research was divided into: Introduction, Preface, Seven Investigations, and Conclusion. Introduction: It includes the importance of the

topic, the reasons for choosing it, previous studies, the aim of the research and the research plan, the writing method in it, the conclusion, and the indexes.

Keywords: witnesses - resurrection - the Holy Qur'an - proof of the return - witness testimony.

God, I ask for help and payment

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة :

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- أن الموضوع – حسب علمي- لم يكتب فيه أحد.

٢- وعظ النفس وتذكيرها بالشهود الذين سيشهدون يوم القيامة.

٣- ذكر القرآن الكريم للشهود في يوم القيامة.

الدراسات السابقة : لم أجد – بعد البحث – من كتب في موضوع الشهود على العباد يوم القيامة .

هدف البحث : جمع الآيات التي بيت الشهود على العباد يوم القيامة ودراستها دراسة موضوعية .

سؤال البحث : من الشهود على العباد يوم القيامة ؟

التمهيد : وفيه تعريف بمصطلحات البحث .

خطة البحث : قسمت هذا البحث إلى سبعة مباحث وهي :

المبحث الأول : شهادة الله تعالى .

المبحث الثاني : شهادة الملائكة الكرام عليهم السلام .

المبحث الثالث : شهادة الرسل عليهم السلام ، وفيه مطلبان :

الأول : شهادة عيسى عليه السلام.

الثاني : شهادة محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع : شهادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الخامس : شهادة الكافر على نفسه.

المبحث السادس : شهادة المكان.

المبحث السابع : شهادة الجوارح .

منهج البحث : اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي من خلال جمع الآيات التي ذكرت الشهود يوم القيامة .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .

الفهارس .

التمهيد

تعريف الشهادة في اللغة :

قال ابن فارس[(١)]: "الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيئ من فروعه عن الذي ذكرناه"[(٢)].

وفي لسان العرب: "الشهادة خبر قاطع تقول: شهد الرجل على كذا، وقولهم أشهد بكذا، أي أحلف عليه"[(٣)].

والشهادة في الاصطلاح:

هي: "قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر"[(٤)].

ويقول الفقهاء: "الشهادة: الإخبار بما علمه بلفظ خاص"[(٥)].

(١) هو: أبو الحسن، أحمد بن زكريا، من أئمة اللغة، توفي سنة (٣٧٥هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١١٨/١)، وسير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٢١/٢).

(٣) لسان العرب (٢٣٨/٢).

(٤) المفردات في غريب القرآن (٤٦٥/١).

(٥) كشاف القناع عن متن الإقناع (٤٦٢/٢٢).

المبحث الأول

شهادة الله تعالى على عباده

وصف الله سبحانه نفسه بالشهيد في كثير من آيات القرآن الكريم ، فقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾[1].

وقال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾[2] .

قال الزجاجي[3]: "الشهيد في اللغة: بمعنى الشاهد، كما إن العليم بمعنى العالم، والرحيم بمعنى الراحم، والشاهد خلاف الغائب، تقول العرب: «فلان كان شاهدًا لهذا الأمر» أي لم يغب عنه، فالله ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه كان شهيدًا لها وشاهدًا لها أي عالمًا بها وبحقائقها علم المشاهد لها، لأنه لا تخفى عليه خافية"[4].

وبين الله ﷻ أنه أعظم شيء شهادة فقال: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ

(١) سورة النساء (١٦٦).

(٢) سورة المائدة (١١٧).

(٣) هو: عبدالرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي أبو القاسم شيخ العربية في عصره، من أشهر كتبه: "الجمل الكبرى"، و"الإيضاح في علل النحو"، توفي سنة (٣٣٧هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١٣٦/٣).

(٤) اشتقاق أسماء الله (ص: ١٣٢).

ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[1] .

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يكذّبون ويجحدون نبوَّتك من قومك: أيُّ شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة: "الله"، الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ، والغلط والكذب، ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة، شهيدٌ بيني وبينكم، بالمحقِّ منا من المبطل، والرشيد منا في فعله وقوله من السفيه، وقد رضينا به حكمًا بيننا"[2].

وأبان الله أنه مطلع على أعمال العباد ليجزيهم بها يوم القيامة فقال: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾[3] .

وفي سورة البروج عندما ذكر الله تعالى قصة أصحاب الأخدود وما فعله الظالمون بهم ذكر سبحانه بأنه مطلع على كل شيء وشاهد عليه ليجزيهم بأعمالهم

وشهادة الله تعالى هي الحكم الفصل بين نبيه ﷺ وبين الكفار الذين أنكروا رسالته، قال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ

(١) سورة الأنعام (١٩).
(٢) جامع البيان (١١/ ٢٨٩).
(٣) سورة المجادلة (١).

بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١) .

فأمر الله نبيه ﷺ بأن يجيبهم جواب الواثق بصدقه المستشهد على ذلك بشهادة الصدق من إشهاد الله تعالى وإشهاد العالمين بالكتب والشرائع.

وكذلك كان جواب الرسول ﷺ على من ادعى أنه افترى على الله فقال الله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۦۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ (٢).

ولا شك أن هذا في غاية التهديد الذي تنخلع منه القلوب لأنه فوض الحكم بينه وبينهم إلى الله تعالى.

والحكم بين العباد والفصل بينهم لا يكون إلا بالعلم بأديانهم وأعمالهم، والله مطلع على ذلك شاهد عليه، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ (٣).

فناسب ختم هذه الآية بالإخبار بأنه سبحانه على كل شيء شهيد.

وأعظم شهادة هي الشهادة بوحدانية الله ﷻ، وقد شهد الله لنفسه بأنه واحد فرد صمد فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ

(١) سورة الرعد (٤٣).
(٢) سورة الأحقاف (٨).
(٣) سورة الحج (١٧).

وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) .

وجاء في سبب نزول هذه الآية: لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام ؛ فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت ، فقالا له: أنت محمد ؟ قال "نعم". قالا: وأنت أحمد ؟ قال: "نعم". قالا: نسألك عن شهادة ، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهما رسول الله ﷺ: "سلاني". فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله،فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾، فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله ﷺ(٢).

وشهادة الله سبحانه تتضمن شهادته على أعمال عباده، وقد نصت ثلاث آيات على شهادة الله على أعمال عباده عموما وهي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾(٣).

الآية الثانية: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

(١) سورة آل عمران (١٨).
(٢) أسباب النزول للواحدي (٦٣/١).
(٣) سورة آل عمران (٩٨).

ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [1].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾، أي: ننتقم منهم في حياتك لتقرّ عينُك منهم، ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ ، أي: مصيرهم ومتقَلَبهم، والله شهيد على أفعالهم بعدك.) [2]

الآيــة الثالثــة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [3].

قال ابن كثير: (يخبر تعالى نبيه -صلوات الله عليه وسلامه- أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزُب عن علمه وبصره مثقالُ ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[4]، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات

---

(١) سورة يونس (٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٢) .

(٣) سورة يونس (٦١).

(٤) سورة الأنعام (٥٩).

وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [2].

وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[3]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [4]، إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال، عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[5].

ويقول ابن عاشور[6]: "وذلك الوعد بالثواب للرسول على ما هو قائم

(١) سورة الأنعام (٣٨).

(٢) سورة هود (٦).

(٣) سورة الشعراء (٢١٧-٢١٩).

(٤) سورة يونس (٦١).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٧).

(٦) هو: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتيين المالكيين في تونس، وشيخ جامع الزيتونة، له مؤلفات نافعة من أشهرها: "التحرير والتنوير"، توفي سنة (١٣٩٣هـ). انظر ترجمته في: الأعلام (٦/١٧٤).

به من تبليغ أمر الله وتدبير شؤون المسلمين وتأييد دين الإسلام، وبالثواب للمسلمين على اتباعهم الرسول فيما دعاهم إليه، وجاء هذا الوعد بطريقة التعريض بحصول رضى الله تعالى في قوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ لأنهم يعلمون أن عملهم وعمل النبي ما كان إلا في مرضاة الله، فهو كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ ويتضمن ذلك تنويها بالنبي ﷺ في جليل أعماله وتسلية على ما يلاقيه من المشركين من تكذيب وأذى، لأن اطلاع الله على ذلك وعلمه بأنه في مرضاته كاف في التسلية، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1]، ولذلك توجه الخطاب ابتداء إلى النبي ﷺ ثم توجه إليه وإلى من معه من المسلمين"[2].

(١) سورة الطور (٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (١١/١١٨).

المبحث الثاني

شهادة الملائكة عليهم السلام

خلق الله الملائكة من نور وسخرهم في طاعته كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

وكلف فريقاً منهم بأعمال تخص بني آدم، منها كتابة أعمالهم والشهادة عليهم يوم القيامة.

وقد دلت آيات القرآن الكريم على إثبات هذه الشهادة وهذه الآيات هي :

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وقد اختلف المفسرون في المقصود بالأشهاد يوم القيامة على خمسة أقوال[3].

فذهب مجاهد ،وقتادة ، إلى أنهم الملائكة ، واستدلوا على ذلك بقول

(١) سورة الأنبياء (٢٠).
(٢) سورة هود (١٨).
(٣) زاد المسير (٣/٣٣٠).

الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ (١). (٢).

وهذا ما رجحه البغوي أيضاً(٣).

قال ابن جريج: "قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قال الكافر والمنافق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيسألهم عن أعمال ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة"(٤).

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٥).

وقد اختلف المفسرون بالمراد بالشهداء على قولين(٦).

الأول: أنهم من يشهد على أعمال الناس التي عملوها في الدنيا وهذا قول الجمهور.

الثاني: أنهم الذين قتلوا في سبيل الأول .

قال ابن الجوزي بعد أن ذكر الأقوال: (و الأول أصح)(٧)

(١) سورة ق (٢١).
(٢) تفسير البغوي (١٦٨/٤).
(٣) تفسير البغوي (١٦٨/٤).
(٤) جامع البيان (٢٨٢/١٥).
(٥) سورة الزمر (٦٩).
(٦) جامع البيان.
(٧) زاد المسير (٢٧٩/٥).

ثم إن جمهور المفسرين اختلفوا في تحديد هؤلاء الشهداء فقيل إنهم الملائكة وقيل غيرهم.

قال ابن كثير : (﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ : أي : من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر) [(١)]، وهو قول مقاتل بن سليمان . [(٢)].

وقال القرطبي : قال ابن زيد : هم الحفظة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ فالسائق يسوقها إلى الحساب والشهيد يشهد عليها. [(٣)]

❁❁❁❁❁

الآية الثالثة: قول الله تعالى:﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[(٤)].

ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالأشهاد في الآية هم الملائكة[(٥)] ، وقيل كل شهيد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وقيل إن المراد بالأشهاد هم الجوارح[(٦)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١١٦/٧)

(٢)انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٣٩٠/٣)

(٣) تفسير القرطبي (٢٨١/١٥)

(٤) سورة غافر (٥١).

(٥)جامع البيان (٤٠٢/٢١) وتفسير القرطبي (٣٢٢/١٥).

(٦) انظر: جامع البيان (٤٠٢/٢١)، والدر المنثور (٤٨/١٣).

قال ابن قتيبة[١]: هم الملائكة يكتبون أعمال بني آدم[٢] .

وقال البيضاوي[٣]: المراد بالأشهاد: من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا، وأما الأنبياء فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على الأمم بالتصديق والتكذيب، كما قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [٤]، وأما المؤمنون فيشهدون على الناس أيضاً يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٥]. [٦].

الآية الرابعة: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾[٧].

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالشهيد في الآية أنه ملك يشهد

(١) هو: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي، له تصانيف مشهورة في فنون، من كبار العلماء المشهورين، من أشهر كتبه: "تأويل مشكل القرآن"، توفي سنة ٢٧٦هـ.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣)، وبغية الوعاة (٦٢/٢).

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٣٨٧/١).

(٣) هو: أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، مفسر أصولي، من أشهر كتبه: "أنوار التنزيل"، توفي سنة (٦٨٥هـ). انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي (٢٧٢/٢).

(٤) سورة النساء (٤١).

(٥) سورة البقرة (١٤٣).

(٦) أنوار التنزيل (٢٧٢/٥).

(٧) سورة ق (٢١).

على الإنسان[1].

وهذا القول يؤيده سياق الآية الكريمة.

ثم إن العلماء اختلفوا هل هي عامة لجميع الناس أم خاصة بالكافرين على قولين[2]:

الأول: جمهور المفسرين أنها عامة لجميع الناس.

الثاني: وقيل خاصة بالكافر.

والصحيح الأول: لأن الأصل هو العموم، ثم إنه قد علم أن الكرام الكاتبين يكتبون أعمال جميع الناس الكافرين وغيرهم وكذلك الشهادة تكون لعمومهم، والله أعلم.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٠٨/١٠) و جامع البيان (٣٤٩/٢٢) وتفسير القرطبي (١٤/١٧)

(٢) انظر: جامع البيان (٣٤٩/٢٢)، تفسير القرطبي (١٤/١٧)

المبحث الثالث

شهادة الأنبياء عليهم السلام ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : شهادة عيسى عليه السلام .

المطلب الثاني : شهادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الأنبياء عليهم السلام هم أفضل البشر على الإطلاق، فضلهم الله تعالى بالنبوة،

يقول الله تعالى في تفضيلهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[1].

فابتدأ الله بالأعلى وهم النبيون ثم ذكر من دونهم.

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «إن الله اختار صاحبي على العالمين سوى الأنبياء والمرسلين» [2].

ونقل ابن تيمية الإجماع على أنهم عليهم السلام أفضل البشر فقال: "الأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين وبعدهم الصديقون، والشهداء، والصالحون"[3]

---

(١) سورة النساء (٦٩).

(٢) رواه البزاز في مجمع الزوائد (١٠/١٨) والحديث صحح إسناده عبدالحق الإشبيلي، انظر: الأحكام الصغرى (٩٠٥).

(٣) منهاج السنة (٤١٧/٢).

وقد نصت آيات الكتاب العزيز أنهم عليهم السلام يشهدون يوم القيامة على العباد، فيشهدون أنهم بلغوا أممهم ويشهدون عليهم بأعمالهم

وقد وردت أربع آيات في ذلك :

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[1].

قال الرازي[2]- مبيناً سياق هذه الآية حيث جاءت بعد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [3]:

" وجه النظم هو أنه تعالى بين أن في الآخرة لا يجري على أحد ظلم وأنه تعالى يجازي المحسن على إحسان ويزيده على قدر حقه، فبين الله تعالى في هذه الآية أن ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الحجة على الخلق لتكون الحجة على المسيء أبلغ والتبكيت له أعظم وحسرته أشد ويكون

(١) سورة النساء (٤٢، ٤٣).

(٢) هو: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الملقب بفخر الدين، فقيه شافعي، مفسر، من أشهر كتبه: "مفاتيح الغيب"، توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢٤٨/٣)، وشذرات الذهب (٢٠/٥).

(٣) سورة النساء (٤٠).

سرور من قبل ذلك من الرسول وأظهر الطاعة أعظم، ويكون هذا وعيداً للكفار الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ ووعداً للمطيعين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾[1].

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤﴾.

أجمع المفسرون على أن المراد بالشهيد هم الأنبياء عليهم السلام.[2]

قال الواحدي[3]: يعني يوم القيامة نبعث الأنبياء ليشهدوا على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب[4].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويستنكرون ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله، وهو رسولهم الذي ارسل إليهم"[5].

الآية الثالثة: قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ

(١) تفسير الرازي (١٠/٨٥).

(٢) انظر : جامع البيان (١٧/٢٧٤) ، وتفسير ابن كثير (٤/٥٩٢) وتفسير البغوي (٥/٣٧)

(٣) هو: علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي، كان أوحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، ومن أشهر كتبه أيضاً" أسباب النزول"، توفي سنة (٤٦٨هـ). انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي (١/٣٩٤-٣٩٥).

(٤) الوسيط (٣/٧٧).

(٥)جامع البيان (١٧/٢٧٤).

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[1].

في هذه الآية بيان أن الله تعالى سيبعث من كل أمة شهيداً يشهد عليها وهو رسولها، فيشهد أنه بلغ، ويشهد على كفرهم.

وذكر الماوردي[2] أن في كل زمن شهيد ولو لم يكن من الأنبياء[3] وهذا بعيد – والله أعلم–.

والصحيح بالشهيد في الآية من الأنبياء عليهم السلام ويدل عليه قول الله تعالى في الآية: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ وهذا يدل على أن الشهيد على كل أمة هو نبيها وأن محمداً ﷺ سيشهد على أمة الإسلام.

الآية الرابعة: قول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾[4].

اختلف المفسرون هل هذه الشهادة للأنبياء خاصة أم يدخل عنهم غيرهم على قولين[5]:

الأول: أنها للأنبياء خاصة وهو قول أكثر المفسرين.

---

(١) سورة النحل (٨٩).

(٢) هو: علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي، أبو الحسن القاضي، له مؤلفات في الفقه والتفسير، من أشهر كتبه: "النكت والعيون"، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر ترجمته في: طبقات الشافعية (٢٦٧/٥).

(٣) النكت والعيون (٢٠٨/٣).

(٤) سورة القصص (٧٥).

(٥) انظر: جامع البيان (٦١٤/١٩) وتفسير القرطبي (٣٠٨/١٣) وتفسير ابن كثير (٢٥٢/٦) الكشاف للزمخشري (٤٢٩/٣).

الثاني: أنها عامة تشمل جميع الشهداء.

والأول أصح.

قال القرطبي: ﴿ شَهِيدًا ﴾ : نبياً، عن مجاهد، وقيل: عدول الأخرة يشهدون على العباد بأعمالهم في الدنيا، والأول أظهر، لقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ شهيد كل أمة رسولها، الذي يشهد عليها، والشهيد الحاضر، أي أحضرنا رسولهم المبعوث إليهم" [1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٩/١٣).

المطلب الأول

شهادة عيسى عليه السلام

نص الله تعالى على شهادة عيسى عليه السلام يوم القيامة فقال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

وذكر المفسرون أن شهادته عليه السلام ستكون على النصارى الذين غلو فيه، وعلى اليهود الذين كذبوه وطعنوا فيه كما أنه سيشهد لمن آمن به وصدقه.

ونقل ابن كثير عن قتادة أنه قال: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله وأقر بعبوديته لله عز وجل[2].

وقال الطبري عند قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ .

"يعني شاهداً عليهم بتكذيب من كذبه منهم، وتصديق من صدقه منهم فيما آتاهم به من عند الله وبإبلاغه رسالة ربه"[3].

(١) سورة النساء (١٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٦/٢).
(٣) جامع البيان (٣٩٠/٩).

المطلب الثاني

شهادة نبينا محمد ﷺ

وصف الله تعالى نبيه بأنه شاهد في سبع آيات من القرآن الكريم وهي قوله تعالى:

١- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(١)].

٢- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[(٢)].

٣- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾"[(٣)].

٤- ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [(٤)].

٥- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ

(١) سورة البقرة (١٤٣).
(٢) سورة النساء (٤٢).
(٣) سورة النحل (٨٩).
(٤) سورة الحج (٧٨).

وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[1].

٦- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾[2].

٧- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[3].

يقول ابن كثير : شاهداً: أي لله بالواحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وقال: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً"[4].

ودلت هذه الآيات أن شهادته ﷺ ليست على أمته فحسب بل يشهد على الأمم الماضية، فيشهد أن الأنبياء الذين قبله قد بلغوا رسالات ربهم، ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى

(١) سورة الأحزاب (٤٦).
(٢) سورة الفتح (٨، ٩).
(٣) سورة المزمل (١٥).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٩).

ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا﴾[1].

وذلت أيضاً هذه الآيات أنه ﷺ يشهد للمؤمنين من أمته، والكافرين من أمته، فوصف شهيد الوارد في الآيات يشمل ذلك كله .

قال ابن عاشور: "ومحمد ﷺ شاهد على أمته بمراقبة جريهم على الشريعة في حياته، وشاهد عليهم في عرصات القيامة ، قال تعالى: ﴿ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ فهو شاهد على المستجيبين لدعوته، وعلى المعرضين عنها، وعلى من استجاب لدعوته، وعلى المعرضين عنها، وعلى من استجاب للدعوة ثم بدل وفي حديث الحوض: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول تباً وسحقاً لمن أحدث بعدي" يعني أحدثوا الكفر، وهم أهل الردة كما في بعض روايات الحديث: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[2].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، حديث رقم : (٤٤٨٧)

(٢) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٧٩)

المبحث الرابع

شهادة أمة محمد ﷺ

فضّل الله تعالى أمة محمد ﷺ وخصها بخصائص منها أنها أمة الوسط والشهادة على الناس.

ودلت آيتان من القرآن على أن أمة محمد ﷺ ستشهد على سائر الأمم:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[2].

فدلت الآية الأولى على أن أمة محمد ﷺ ستشهد على سائر الأمم، كما دلت أن شهادتها مقبولة لأن الله وصفها بأنها أمة وسطاً والوسط هم العدول.

---

(١) سورة البقرة (١٤٣).

(٢) سورة الحج (٧٨).

قال ابن جرير: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : عدولاً شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها"[1] .

وكذلك دلت الآية الثانية على شهادة أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.

قال قتادة: أعطيت هذه الأمة ما لم يعطه إلا نبي، فأن يقال للنبي أنت شهيد على أمتك، وقيل لهذه ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ وكان يقال للنبي ليس عليك حرج وقيل لهذه الأمة: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ وكان يقال للنبي سل تعط، وقيل لهذه الأمة: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [2].

وهذه الشهادة دلت عليها السنة كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[3]»[4].

(١) جامع البيان (١٤٦/٣).

(٢) جامع البيان (٦٩٣/١٨)

(٣) سورة البقرة (١٤٣).

(٤) سبق تخريجه.

المبحث الخامس

شهادة الكافر على نفسه

نصت آيتان من القرآن الكريم أن الكافر يشهد على نفسه يوم القيامة وهما:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾[1].

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾[2].

دلت الآيتان على أن الكافر يقر يوم القيامة أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ، وأن هذا البلاغ قد علمه لكنه كفر ولم يؤمن ويشهد على نفسه بذلك، ويقال له على جهة التوبيخ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾

(١) سورة الأنعام (١٣٠).

(٢) سورة الأعراف (٣٧).

وشهادة الكافر على نفسه تكون بعد شهادة جوارحه عليه[1] .

❁❁❁❁❁

(١) تفسير مقاتل (١/٢٣٠).

المبحث السادس

شهادة المكان

نصت آية واحدة على أن المكان يشهد على العبد يوم القيامة، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾[1] أي الأرض.

وهذه الشهادة جاء بيانها في السنة فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها"[2].

وشهادة الأرض وكلامها على الحقيقة للحديث السابق.

يقول أبو حيان[3]: "الظاهر أنه تحديث وكلام حقيقة، وأن يخلق فيها حياة وإدراكاً"[4].

---

(١) سورة الزلزلة (٤، ٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ حديث رقم (٢٦١٦)، وضعف إسناده الألباني.
انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤٢٩/٥).

(٣) هو: محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان الغرناطي الأندلسي، مفسر لغوي، من أشهر كتبه: "البحر المحيط"، توفي سنة (٧٤٥هـ). انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي (٢٨٦/٢).

(٤) تفسير أبي حيان (٣٧٦/٨).

المبحث السابع

شهادة الجوارح

جاء في القرآن الكريم ثلاث آيات تفيد أن الجوارح ستشهد على الإنسان يوم القيامة، وهي:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

هذه الآية جاءت بعد قصة الإفك وبراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فجاءت هذه الآية في الوعيد لمن قذف المحصنات وأن هذه الجوارح ستشهد عليهم يوم القيامة فابتدأت بشهادة الألسن.

قال الألوسي[2]: "وصرح باللسان الذي به عمله، ليفضحه جزاء له من جنس عمله"[3].

ولم تذكر شهادة الألسن في غير هذا الموضع.

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[4].

---

(١) سورة النور (٢٤).

(٢) هو: محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين، مفسر ومحدث وأديب، من أشهر كتبه: "روح المعاني في التفسير"، توفي سنة (١٢٧٠هـ). ينظر ترجمته في: الأعلام (١٧٦/٧).

(٣) روح المعاني (٣٢٥/٩).

(٤) سورة يس (٦٥).

أفادت الآية أن الله تعالى يختم على أفواه الكافرين لتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما اقترفوه وعملوه في الدنيا.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ما يفيد على الختم على الأفواه وشهادة الجوارح منها حديث أنس بن مالك ﷺ قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال: فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه، فيقال الأركان: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل»(١).

الآية الثالثة: قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

جاء في صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي- أو ثقفيان وقرشي- كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (٧٦٢٩).

(٢) سورة فصلت (١٩-٢٢).

قلوبهم، فقال أحدهما: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا اخفينا، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾»[1] .

أفادت هذه الآية أن الشهود ثلاثة وهم: السمع والأبصار والجلود، واختلف المفسرون في المراد بالجلود على ثلاثة أقوال: [2].

الأول: أنها الجلود نفسها، وهو قول الأكثر

الثاني: أن المراد بها الأيدي والأرجل.

الثالث: أن المراد بها الفروج .

والصحيح الأول؛ لأنه ظاهر الآية.

قال ابن عاشور: "ومن غريب التفسير قول من زعموا أن الجلود أريد بها الفروج، ونسب هذا للسدي والفراء وهو تعنت في محمل الآية "[3].

ومن خلال الآيات السابقة نجد أن الجوارح التي ستشهد على الإنسان هي: الألسن والأيدي والأرجل والسمع والبصر والجلد، وعند النظر والتأمل نجد أن هذه الجوارح قد استغرقت الجسد كله، مما يعني أن جميع الجسد سيشهد على الإنسان بما عمل.

وشهادة الجوارح على الإنسان شهادة حقيقية بحيث تنطق على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم : ٤٨١٧

(٢) انظر: النكت والعيون (١٧٦/٥)

(٣) التحرير والتنوير (٣٨/٢٥).

المشهود عليه بكيفية لا يعلمها إلا الله، بخلاف من أول ذلك بتأويلات باطلة كزعم المعتزلة أن الله خلق فيها الكلام[1]

فهذه تأويلات لا دليل عليها لأن الله ﷻ نسب الكلام للجوارح صراحة في قوله: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ [2]، وفي قوله: ﴿ شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾ ، وفي قوله تعالى: ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ .

فدلت هذه الآيات أن الجوارح تنطق، ويؤيده حديث أنس ﷺ قال ﷺ: «فيقال لأركانه: انطقي قال فتنطق بأعماله»[3].

(١) تفسير الزمخشري (٤/١٩٥).

(٢) سورة يس (٦٥).

(٣) سبق تخريجه.

خاتمة البحث

لقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج أهمها:

١. عظم شهادة الله ، وأن شهادته على عباده تكفي عن كل شهادة.

٢. إثبات شهادة الملائكة عليهم السلام على العباد يوم القيامة.

٣. إثبات شهادة الأنبياء عليهم السلام على العباد يوم القيامة.

٤. أن عيسى عليه السلام سيشهد على اليهود الذين طعنوا فيه ، وعلى النصارى الذين غلو فيه ، وسيشهد لمن آمن به وصدقه.

٥. أن شهادة نبينا عليه الصلاة والسلام على أمته ، وعلى والأمم السابقة .

٦. إثبات شهادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم

٧. أن الكافر سيشهد على نفسه بالكفر بعد أن تشهد عليه جوارحه

٨. أن شهادة المكان وشهادة الجوارح شهادة حقيقية ، ينطقها الله الذي أنطق كل شيء .

فهرس الكتب والمصادر

١- أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن الواحدي، المحقق: عصام ابن عبدالمحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢- اشتقاق أسماء الله الحسنى لعبدالرحمن بن إسحاق النها وندي الزجاجي مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٣- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشرة: ٢٠٠٢م.

٤- أنوار التزيل لأبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٥- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦- التحرير والتنوير، المؤلف ابن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧- تفسير ابن أبي حاتم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٨- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٩- تفسير الماوردي النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت/لبنان.
١٠- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
١١- تفسير مقاتل، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
١٢- جامع البيان، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٣- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.
١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
١٥- زاد المسير لابن الجوزي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧ هـ.
١٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م.
١٧- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، أبوعيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين،

الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.

١٨- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٩- شذرات الذهب لمؤلف: ابن العماد العَكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م

٢٠- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١- طبقات الشافعية الكبرى طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين، أبي نصر: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت: ٧٧١)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط: دار إحياء الكتب العربية.

٢٢- طبقات المفسرين للداوودي، المؤلف: شمس الدين الداوودي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق: جماعة من المحققين بإشراف الناشر.

٢٣- كشاف الإقناع عن متن الإقناع، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٢ هـ.

٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧ هـ.

٢٥- لسان العرب المؤلف: ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، نشر دار المعارف.

٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٧- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبوالحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٨- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٢ هـ.

٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس، شمس الدين: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت: ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، دار صادر بيروت